

## في الاختلاف بين السعودية وتركيا

محمود الوهاب

ما غاية السعودية والإمارات من صنع محاور جديدة وهل من مبررات موضوعية أم هي دوافع ذاتية؟ العداوات لا تجلب إلا الخراب والدمار وعمرنا الذي نعيشه هو أ Fowler عهود الدكتاتوريات وانطفاء ألوان الاستبداد.

بعضهم يصف أردوغان بالشعبوية لكنه لم يأت إلى الحكم بخطابات ووعود كاذبة أو برشى وتأمر على أقرب مقرّ بيته.

الخلاف بين السعودية وتركيا يتفاقم ويتعقّل ليغدو محوراً بدليلاً عن المصراع الرئيس بالمنطقة منذ 70 عاماً: المصراع العربي الإسرائيلي.

يتطلب الإصلاح الفعلي هزّات عميقه لجذور الدولة العميقه في السعودية فهي أقرب إلى الدولة السورية التي أسسها حافظ الأسد له ولعائلته.

دستور المملكة لا يتضمن كلمة وطن أو شعب أو سلطة تشريعية منتخبة بل ثمّة مجلس شورى يعينه ملك مطلق هو مرجع كل السلطات.

\* \* \*

تحاول المقالة عرض أهم نقاط الخلاف القائم بين المملكة السعودية وتركيا، والذي لا يزال يتفاقم ويتعقّل، ليغدو محوراً بدليلاً عن المصراع الرئيس الذي تعشه المنطقة منذ سبعين عاماً، بوجود "إسرائيل" التي استحوذت على فلسطين والجولان، وتعمل على ضم أراضٍ جديدة، ما يشكل تعقيداً إضافياً للقضية الفلسطينية، مما الغاية من صنع محاور جديدة، وهل من مبررات موضوعية، أم أنها دوافع ذاتية يؤكدها ما يلي:

أولاً: ما يبدو واضحاً أن معظم الحكام العرب مهزومون أمام حصاره اليوم. حصار التكنولوجيا الرفيعة، والتنمية الشاملة. لكنهم مشغولون بالعداوات، وخصوصاً مع الجوار، يلهثون خلف الانصار والمحاور المتناحرة في وقتٍ هم بحاجة فيه إلى التصالح مع ذواتهم وشعوبهم والعالم، مقدمةً ضرورية

لتفوية بلدانهم وإنها ضمها .

لكنكم تراهم في حال غياب العدو أو العجز أمامه، يسعون نحو عداواتٍ جديدةٍ متوجهة، أمراً ملازماً لاستمرار الحكم والحاكم، وإلا فمن أين للحاكم مشجب يعلق عليه نواقه، وأسباب تخلف بلاده. وكيف يظهر بطلًاً أمام شعبه، يدافع عن سيادة الدولة واستقلالها .

ثانياً: كانت إسرائيل، إلى وقت قريب، العدو الفعلي للعرب أجمعين. ولكن بعض الحكام العرب، أو أغلبهم، قد انتبهوا، بعد مرور نحو سبعين سنة على قرار تقسيم فلسطين، إلى انكشاف عوراتهم، وبيان سوءاتهم، تجاه ذلك العدو على غير معيد .

فكان أن خرجوها بنغمةٍ جديدةٍ مفادها بأن إسرائيل ليست عدواً، بل ثمة قرابة بينها وبين العرب تمتد عميقاً في التاريخ، (بحسب إعلاميين سعوديين أخيراً) .

وهكذا أخذوا ينشئون جسوراً فيما بينهم، مرئيةٌ تارةً ومخفيةٌ تارةً أخرى. ولكن فراغاً في وجود العدو الذي لا يمكن العيش بدونه قد حصل، ولا بد من ملئه، فهو فراغٌ لا تفرضه الضرورة المشار إليها فحسب، بل لابد منه للتغطية على تلك الجسور التي أخذت تُقام، وهكذا وجدت مصر وال السعودية والإمارات أن العدو موجود .

إنه تركيا الدولة الإسلامية الناهضة حديثاً، والنامية سياسياً واجتماعياً، بفضل ما دأبت عليه من علمانيةٍ وديمقراطيةٍ ساهمتا في ذلك النهوض، ولا يزال الأفق أمامها واسعاً .

ثالثاً: ثمة من يرى أن تركيا تؤيد جماعة الإخوان المسلمين، بينما تقف السعودية ضدّهم..! كم تثير هذه المقوله الدهشة والاستغراب، إن لم أقل السخرية. وكان المملكة دولة علمانية، تقودها أحزاب سياسية تمثل الشعب السعودي، وتستند إلى قوانين وضعها برلمان منتخب، بإشراف سلطة قضائية مستقلة. وكانها أيضاً ترعى الحرّيات الدينية، وأن فتاوى مفتفيها تأخذ إعلان حقوق الإنسان معياراً لدى كل قضية اجتماعية، وخصوصاً ما يهم المرأة والطفل وعموم العلاقات الاجتماعية. أما سوريا وبعد حكم "علماني" دام خمسين عاماً، اكتشفت أن نصف شعبها إخوان إرها بيون، فصدرت منهم نحو خمسة ملايين إلى تركيا تحقيناً لـ "التجانس" في البلدين.

رابعاً: تقوم المملكة بإصلاحات اجتماعية وإدارية تقوم بها المملكة، لتنفي عنها سمة التخلف التي يشعر به المواطن السعودي قبل غيره، لكن تلك الإصلاحات، مع كلّ أسف، لا تتعدّى دهان الأطر الخارجية فوق بناء متهالك، يعود إلى عصور استهلهكها الزمن.

يتطلب الإصلاح الفعلي هزّات عميقة لجذور تلك الدولة العميقه في السعودية، فهي، وبغض النظر عن الشكل، أقرب إلى الدولة السورية الأسدية التي أسسها حافظ الأسد له ولعائلته، وحكمها مستند إلى جيش رتبّه على مراجه، ومد له حيلاً للفساد ظل زمامه بيده، إضافة إلى استغلال نسيجها السكاني المتعدد، وقد فصل دستوراً على حجمه..!

فما بالك بدستور المملكة الذي لا يتضمن كلمة وطن أو شعب أو سلطة تشريعية منتخبة، بل ثمة مجلس

شورى يعينه ملك مطلق، هو مرجع كل السلطات.

خامساً: إذا كان الأمر يتعلق بالإخوان المسلمين فأول من احتضنهم ومنحهم العالمية هي المملكة السعودية، منذ ستينيات القرن الماضي. وإذا كان الأمر يتعلق بالتطـّرف الديني، فالملـّكة من أكثر الدول دعماً لأشد الإسلاميين تطـّرـفـاً، إذ أنفقـتـ عليهم مئـاتـ مليـاراتـ الدولـارـاتـ، بحسب بعض الدراسـاتـ. ويشير الواقع إلى أكثر من ذلك بكثير، فهي التي احتضنت "الإخوان" لدى صراعـهمـ في مصر مع جمال عبد الناصر، وقد فعلـتـ الأمر نفسهـ لدى صراعـهمـ في سوريا مع حافظ الأسدـ أواخرـ سبعـينـياتـ القرنـ المـاضـيـ وأوائلـ ثـمانـينـياتـهـ، وهيـ أولـ منـ استـجابـ لـ الدـعـوةـ الـأـمـيرـكـيـةـ لـ المـسـاـهـمـةـ بـ تـشـكـيلـ تنـظـيمـ القـاعـدةـ، تحتـ ياـ فـطـةـ محـارـبةـ الشـيـوعـيـةـ.

وقد ساندتها في هذا المجال إيران التي عملـتـ على تـخـريبـ عـدـةـ دولـ عـربـيـةـ الـيـومـ، فأخرجـتهاـ منـ مـيزـانـ قـوىـ الـمنـطـقةـ، لاـ بلـ سـاـهـمـتـ فيـ تـجـوـيـعـ أـهـلـهـاـ. وـتـشـهـدـ تـلـكـ الـبـلـدـانـ الـيـوـمـ حـرـكـاتـ شـعـبـيـةـ وـاسـعـةـ، تـطـالـبـ باـسـتعـادـةـ دـوـلـهـاـ الـمـخـتـفـيـةـ.

سادساً: إذا كان بعضـهمـ يـصـفـ الرـئـيسـ التـرـكـيـ، أـرـدوـغانـ، بـالـشـعـبـيـةـ، فـهـوـ لمـ يـأـتـ إـلـىـ الحـكـمـ بـالـخـطاـباتـ، وـالـوـعـودـ الـخـلـبـيـةـ، أـوـ بـالـرـشـىـ وـالـتـآـمـرـ عـلـىـ أـقـرـبـ المـقـرـرـ بـيـنـ لـهـ، وـإـنـماـ بـعـمـلـهـ وـمـنـجـزـاتـهـ الـتـيـ لـبـتـ مـطـالـبـ الـشـعـبـ، مـنـ خـلـالـ تـرـؤـسـهـ بـلـدـيـةـ إـسـطـنـبـولـ الـتـيـ تـشـكـلـ رـبـعـ سـكـانـ تـرـكـياـ، وـكـانـتـ مشـكـلاتـهاـ قدـ أـعـيـتـ مـنـ سـبـقـوهـ.

وحـينـ اـرـتـقـىـ رـئـاسـةـ مـحـلـسـ الـوزـراءـ اـمـتـدـ نـشـاطـهـ، ليـشـمـلـ كـامـلـ تـرـكـياـ، وـلـيـكـمـلـ ماـ بـنـاهـ السـلـفـ لـإـصـالـ تـرـكـياـ إـلـىـ مـاـ تـطـمـحـ إـلـيـهـ مـنـ أـمـجـادـ، فـأـنـشـأـ عـلـاقـاتـ دـوـلـيـةـ مـتـواـزـنةـ، وـخـمـرـ الـبـلـادـ الـعـرـبـيـةـ بـمـيـزةـ ذـوـ الـقـرـبـيـ، بـمـنـ فـيـهـمـ سـورـيـةـ وـلـيـبيـاـ وـالـمـمـلـكـةـ بـالـذـاـتـ. وـحـينـ يـقـصـرـ السـيـاسـيـ التـرـكـيـ، فـثـمـةـ شـعـبـ وـمـعـارـضـةـ وـقـوـانـينـ، فـلـاـ قـتـلـ وـلـاـ عـزـلـ وـلـاـ تـخـلـصـ مـنـ مـخـالـفـيـهـ الرـأـيـ.

سـابـعاًـ وـأـخـيـراًـ: العـدـاوـاتـ لـاـ تـجلـبـ إـلـاـ الـخـرـابـ وـالـدـمـارـ، وـالـعـصـرـ الـذـيـ نـعيـشـهـ هوـ عـصـرـ أـفـولـ عـهـودـ الـدـكـتـاـتـورـيـاتـ وـاـنـطـفـاءـ أـلـوـانـ الـاسـتـبـداـدـ، وـارـتـقاءـ سـلـالـمـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ، وـالـعـلـمـانـيـةـ، وـالـثـقـةـ بـالـإـنـسـانـ، لـاـ بـالـحـكـامـ، وـاـنـتـهـاجـ الـعـلـمـ سـبـيلـاـ لـبـنـاءـ الـدـوـلـ.

وـلـاـ أـدـلـ مـعـذـرـاـ عـلـىـ ذـلـكـ خـيـرـ مـنـ قـوـلـ رـئـيـسـ وـزـرـاءـ مـالـيـزاـ مـهـاـ تـيرـ مـحمدـ "عـنـدـنـاـ أـرـدـنـاـ الـصـلـةـ تـوجـهـنـاـ صـوبـ مـكـةـ، وـعـنـدـنـاـ أـرـدـنـاـ بـنـاءـ الـبـلـادـ تـوجـهـنـاـ نـحـوـ الـيـابـانـ".

\* محمود الوهـبـ كـاتـبـ وـصـفـيـ وـقـاصـ سـورـيـ لـهـ عـدـةـ مـؤـلـفـاتـ وـمـجـمـوعـاتـ قـصـصـيـةـ  
المـصـدـرـ |ـ الـعـرـبـيـ الـجـدـيدـ